

VIII- هيرت سبنسر: (1820-1903):

ولد سبنسر في بريطانيا، ولم يتلق تعليماً منزلياً، اهتم بالميكانيكا، عاش في فترة ازدهرت في بريطانيا نتيجة استعمارها لبلدان أفريقية وأسيوية، فعرفت استقراراً، وتقدماً صناعياً، وازدهاراً للمؤسسات العلمية والثقافية. فعاش سبنسر استقراراً كون لديه صورة إيجابية عن الواقع. نادى سبنسر بمبدأ عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، والفردية، والحرية، وآمن بمبدأ التطور الطبيعي (البقاء للأصلح). جمع المفكر بين العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والإنسانية. من كتاباته: المبادئ الأولى، ومبادئ العلوم الحيوية، ومبادئ علم النفس، ومبادئ علم الاجتماع، ومبادئ الأخلاق، و الاستاتيكا الاجتماعية، دراسة في علم الاجتماع

1- المنظور العضوي:

قاس سبنسر المجتمع بما هو طبيعي، أي قياس الظاهرة الاجتماعية بالكائن الحي، فالمجتمع يتكون من أجزاء بينها علاقات ثابتة نسبياً، يشبه ترتيب الأجزاء فيها ترتيب الكائن الحي. ينمو المجتمع ويمر بمراحل وخلال هذه المراحل يزداد تباين الأجزاء، وظائف هذه الأجزاء متكاملة تلبى في مجموعها حاجات المجتمع. أما مفهوم الوظيفة فقد استخدمها الوظيفيون لتشير إلى الإسهام الموجود بين الجزء والكل، ولذلك تم تسميتهم بالترعة الوظيفية التي تقوم بتحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية في حدود الوظائف التي تقوم بإنجازها في ضمن الإطار السوسيوثقافي.

لقد ربط سبنسر المنظور العضوي بعملية التطور، فالكائنات الحية بدأت بخلية متجانسة، تؤدي عملية التطور إلى ظهور كائنات تتكون من خلايا عديدة، ثم تشكل كل مجموعة منها أعضاء مختصة وظيفياً، وبهذا تتضمن عملية التطور زيادة تباين بنائي، وتحولاً من حالة تجانس إلى حالة اللاتجانس ترابطي فالطور هو تكامل للمادة، وتشتت مصاحب للحركة، خلاله تتحول المادة من تجانس غير محدد ومفكك نسبياً، إلى لا تجانس متكامل ومحدد نسبياً، وتمر الحركة الباقية بتحول مواز من خلاله أيضاً. وعليه كل العمليات النفسية والاجتماعية للخبرة الإنسانية تتبع هذا النمط. معنى ذلك تتحرك وتتحول من حالة البساطة إلى التعقيد المنتظم، ومن حالة عدم التحديد إلى حالة التحديد الواضح، ومن حالة تكون فيها الأجزاء المكونة لها غير متميزة نسبياً، إلى حالة ازدياد التخصص. كذلك المجتمع يتطور من بناءات بسيطة التركيب إلى مجتمعات معقدة التركيب، فتبرز انساق فرعية مختصة أهمها الإمداد ويضمن عمليات الإنتاج، والتوزيع بناء على التباين في البنية الاجتماعية، والتنظيم والضبط المتمثل في الأوجه السياسية والاجتماعية. ويدخل في عملية التطور عاملان مؤثران ظروف داخلية وأخرى خارجية. ففي المجتمع الإقطاعي يتوزع تقسيم العمل بين الأسياد الذين يوفرون الحماية استجابة للظروف الخارجية، بينما يقوم القن بعملية الإنتاج ليلبوا حاجات الأسياد، في مثل هذا المجتمع العسكري تظهر أهمية العوامل الخارجية والداخلية.

تعتبر النظم من أهم مكونات المجتمع وتشمل: النظام الأسري، الديني، السياسي، والمهني، والشعائري. هذه النظم تمر بتطور من الانتشار إلى التخصص. يتحول المجتمع العسكري بزيادة التباين إلى المجتمع الصناعي، تصبح فيه التجارة أهم

من الحروب، وتزيد فيه الحريات فيتطور نظام سياسي يضمن الحرية التي تمتد في مراحل تالية إلى الدين والاقتصاد. هنا تقتصر وظيفة الدولة على ضمان العدل، والحفاظ على القانون، والمساواة، وحماية الأرواح والممتلكات. هذه الأفكار لاقت قبولاً في الولايات المتحدة خاصة لدى ممن يملكون وسائل الإنتاج. وقد رأى سبنسر في الدولة مجتمعاً منظماً سياسياً.

2- تفسير التطور:

هناك مجموعة من العوامل الهامة في تفسير التطور، يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- عدم استقرار المتجانس: حالة التجانس في الحقيقة حالة توازن غير مستقرة، فالوحدات المتشابهة تغير من علاقاتها، وتخضع لتأثير قوى متنوعة، وظروف متباينة.

2- تعدد النتائج: بدء التباين والتنوع معنى ذلك أن الحركة بدأت في عملها من أجل زيادة التعقيد والتركيب، فتباين القوى المؤثرة، يعني تباين النتائج، إضافة وحدة متخصصة يعني ظهور مركز قوة متخصص، يصبح مصدراً للتعقيد وعاملاً أساسياً من عوامل اللاتجانس.

3- العزل: عندما يحدث التباين داخل تجمع، يتطور نوع من التخصص في الأجزاء، هنا الوحدات المتشابهة تستجيب للمؤثرات بصورة متشابهة، والوحدات المختلفة تستجيب للمؤثرات بصورة مختلفة، معناه ظهور عملية انتقاء داخلي أو عزل للأجزاء المتخصصة.

4- التوازن: وهو نتيجة حتمية لحدوث اللاتجانس والتعقيد والتباين، فالتغيرات التي تحدث تحكمها ظروف البيئة، ومن ثم فهي لا تتخطى حدود هذه البيئة، ومن جهة أخرى: قد تحدث هذه التغيرات استجابة لتأثير قوى مصدرها البيئة، ومن ثم فالتغيرات لا بد وأن تتم في إطار من التوازن.

5- الانحلال: كل ظاهرة لا بد أن تخضع للانحلال، فالانحلال هو تفكك الوحدة الكلية.

3- المماثلة بين المجتمع والكائن الحي عند سبنسر:

أ- أوجه الشبه

- كلاهما يختلف عن الظواهر غير العضوية، ويشهد نمواً في الحجم.

- طالما ينمو، فكلاهما يشهد نوع من التباين.

- تطورها يتميز بالتحكمية، كلاهما يواجهان مشكلات بيئية وتحولات مصدرها البيئة، وتغيراتها ليست كمية ولكنها توافقية

- في حالة تحطمهما تستمر الأجزاء الفردية في المحافظة على وجودها.

ب- أوجه الاختلاف:

- الأجزاء والوحدات الداخلية في الكائن تشكل كياناً واحداً على عكس المجتمع.

-التباين الداخلي في البناءات والوظائف عند الكائن العضوي، يعني أن هناك وظائف محددة تؤديها أعضاء بالذات، غير أن ذلك لا يصدق على المجتمع.

- في الكائن العضوي تؤدي الأجزاء وظائفها آخذة بعين الاعتبار مصلحة الكل، بينما في المجتمع تراعي الأجزاء وظائفها الخاصة